# القرآن : منهج ودستور

**١ـ القرآن هو المنهج الشامل المتكامل :**

أنزل الله تعالى القرآن الكريم ، وأنزل فيه قوله : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل : ٨٩] .

ولذلك ، فالقرآن منهج متكامل ، وذلك من خلال :

أ ـ أنه ينظم علاقة الفرد بربه سبحانه : حيث التوحيد المطلق، كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر : ١١ـ١٥] .

وبالتالي : فكل ما في الكون عبدٌ بين يدي ربه الخالق المنعم سبحانه ، فكيف يسجد بعض البشر لصنمٍ أو حجرٍ أو بشر ؟! . . والأجدر أن يسجدوا لخالق القوى والقدر .

ب ـ والقرآن ينظم علاقة الفرد بنفسه : وذلك من خلال

دفعها نحو كل أبواب الخير، وإلى العروج بها إلى معارج التزكية، كما في قوله تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس : ٧-١٠].

ج ـ والقرآن ينظم علاقة الفرد بأسرته : وذلك من خلال الحديث عن العلاقة الزوجية، وعن الأولاد والآباء والأمهات، قال تعالى : ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء : ٢٣-٢٤] .

د ـ والقرآن ينظم علاقة الفرد بمن حوله : كالجيران ونحو ذلك ، قال تعالى : ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء : ٣٦].

هـ ـ والقرآن ينظم العلاقة بين الفرد وأمته : بحيث يقوم البعض بالنصح ، والدفاع عنها ، ونحو ذلك ، قال تعالى :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] .

و ـ والقرآن ينظم العلاقة بين الفرد والآخرين من غير المسلمين ، وذلك من خلال العدل مع المسالمين منهم ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨ـ٩] .

ز ـ والقرآن ينظم العلاقة مع الحياة الدنيا : وذلك من خلال اعتبارها قنطرة يعبر الإنسان عليها إلى الآخرة! .

ولذلك عليه أن يزرع فيها الخير ، ليحصد في الآخرة الأحسن والأفضل! .

والمسلم العاقل هو الذي يجمع بين الدنيا والآخرة ، كما ورد في سياق الحوار بين الطاغية قارون وبين من آمن بالله وحده ، في قوله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧] .

وبالتالي ، لا إفراط ولا تفريط! .

٢ ـ القرآن هو الدستور الخالد :

أ ـ في مجال الدعوة إلى الله تعالى : حيث يُعتبر القرآن عالمياً ، حتى قبل أن تظهر صرعة العولمة! .

مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القلم : ٥١ـ٥٢] .

ومن معالم المنهج الدعوي في القرآن ما يلي :

١ـ حوار المخالفين بالحكمة والموعظة الحسنة : كما في قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

٢ـ أن تكون الدعوة قائمةً على الحجج والبراهين : كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

٣ـ أن يخاطب كل قوم على حسب مستواهم ، وباللغة

التي يعقلونها ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [إبراهيم : ٤] .

ورضي الله عن علي عندما قال : حدّثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟!..

٤ـ الاستشهاد بالآيات القرآنية في موضعها : ذلك لأن الدليل في محله يجعل الآخرين مستسلمين أمام عظمة القرآن ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

ب ـ **وفي مجال الحكم** : أورد القرآن أصولاً ومبادئ غايةً في الأهمية ، وذلك من خلال التركيز على الحكم بما أنزل الله ، كما في قوله سبحانه : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [المائدة : ٤٨] .

**٣ـ لا بدّ من اتباع القرآن :**

من هنا فعلى كل مسلم أن يؤمن بالقرآن كله ، وإلا كان

حاله كحال المنافقين ، والكافرين ، الذين قالوا : نحن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعضه الآخر ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء : ٦٠-٦١] .

وبالتالي ، فحال المؤمن أمام ما ورد في القرآن هي حال الإذعان والطاعة والاستسلام ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٥١] .

سواء كان ذلك فيما يتعلق بآيات الأحكام أو العقيدة أو العبادة أو الخلق أو السلوك ، ونحو ذلك .

كل هذا يقود إلى الاهتمام بجانب اتباع القرآن ، ليكون له التأثير الكبير في حياة الفرد والجماعة .

وهذا هو معنى ( بركة القرآن ) : أي في اتباعه ، كما قال تعالى : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٥] .

وهذا ما فهمه السلف الصالح من الأمة ، حيث كان الواحد منهم يتعلم بعض الآيات ، ولا يتعداها إلى غيرها إلا إذا طبقها بشكل عملي على أرض الواقع ، مثال ذلك ما ورد في صحيح البخاري وغيره ، عن أنس رضي الله عنه قال : كان أبو طلحة أكثر الناس بالمدينة مالاً ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ـ أحد بساتين المدينة المنورة ـ وكان مستقبلة المسجد ، وكان النبي ﷺ يدخلها ، ويشرب من ماء فيها طيب .

قال أنس : فلما نزلت : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله ، أشهدك أن بيرحاء صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله .

فقال الرسول صلوات الله عليه : « **بخٍ بخٍ! ذاك مال رابح ، ذاك مال رابح** » .

ومع الاتباع لا بد من أن نجعل اهتمامنا بالأمور على مقدار اهتمام القرآن بها ، مثال ذلك : أن لا نبالغ في الحديث عن الطهارة والوضوء والتيمم ـ كما حدث وللأسف ـ والقرآن قد

ذكر ذلك كله في آيةٍ واحدة ، هي قوله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ﴾ [المائدة : ٦] .

بينما نهمل الآيات التي تتحدث عن الجهاد والقتال في سبيل الله ـ وما أكثرها في القرآن الكريم ـ[1] .

ومثلها: أن لا نطيل الحديث عن تفصيلات القصص القرآنية ، ثم نهمل جوهر القصة وروحها!! .

* * *

(١) للتوسع يراجع كتاب: الجهاد الاقتصادي ، للمؤلف ،ص ١٢٥ـ١٦٠ .